دخول الفاتحين

ان يدخل ريتشارد نيكسون الى القاهرة دخول الفاتحين ، بعد ان كانت القاهرة تقول له بأعلى صوت اذا لم يعجبه البحر الابيض فليشرب البحر الاحمر ، نقلة تاريخية الى الوراء تعيد الى الاذهان صورا من الماضي دفع الشعب المصري غاليا لازالتها ودفنها .

والذي يزور القاهرة هذه الايام وهي تستعد لاستقبال «الامبراطور الجديد» تقفز الى مخيلته صورة مواكب الامبراطور نابليون الثالث وزوجته الامبراطورة يوجيني عندما قدما الى مصر لافتتاح قناة السويس في منتصف القرن الماضي على اشلاء عشرات الالاف من العمال المصريين الذين سقطوا من الارهاق والسخرة والجوع وحرارة الشمس ليشقوا لسفن الاستعمار طريقا يختصر فيها المسافات لنهب خيرات الشعوب واذلالها .

واليوم .. وبعد ان استردت مصر سيادتها على القناة مرتين في اشرف معارك البطولة والفداء والانتقام ، يأتي « الامبراطور الجديد » ليفتتح القناة من جديد حيث سيسخر عمال مصر لتشييد المناطق الحرة والمباني التي ستقيم فيها بنوك الاستعمار وشركاته ومصالحه على اشلاء الشهداء الذين عبروا القناة على جسر من الدم والموت ليستردوا سيادة وطنهم عليها .

هذه الحكاية التاريخية المأساوية المحزنة تطالعك من خلالها صور حية اخرى تشق حجب اليأس .. صور العمال الصبورين الذين كانوا يتدفقون الى القناة صباح كل يوم من ايام حرب الاستنزاف المجيدة ليشيدوا قواعد الصواريخ تحت وابل من قنابل النابالم لا ينقطع وهم ينشدون ويهزجون للنصر المؤكد مع علمهم ان الموت في انتظارهم لا محالة .

فاي انقلاب هو الذي جعل زعيم الاعداء اول « الاصدقاء » .. وجعل العمال الذين ماتوا بقنابل طائراته وهم يشيدون قواعد الصواريخ لدحرها ، يشيدون له اليوم مراكز لنفوذه ومصالحه ، وجعل الضباط والجنود الابطال الذين اقتحموا قلاعه وواجهوا اسلحته يصبحون ادلاء سياحيين للوفود التي يبعثها لتتفرج على مآثرهم !

ولكن مصر العربية الصامدة وقد قهرت على مر التاريخ غزوات كثيرة لن تسمح باقامة طويلة للفاتح الجديد .

سليمان الفرزلي ■